



فلاسفة العرب



الكندي

يَوْحَنَّا قَمِير

الكنيسة



دراسية - مختارات

المطبوعات الكاثوليكية - بيروت

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

كان الكندي ، الى زمن قريب ، اسماً معروفاً وفكراً مجهولاً .
كان الباحثون يقولون عنه - حين يقولون - انه عالم اكثر مما هو فيلسوف ،
وانه خلف بعض اراء متناثرة ، لم يتعمق ولم يبن .

ليس يعنينا الآن ان نعرف الكندي كعالم ، او ان نعرفه الى الناس .
اما الكندي الفيلسوف فقد طالعنا ما استطعنا الحصول عليه من رسائله ،
فوجدنا عقلاً اطلع على خلاصة الفكر اليوناني ، والقي البذور الاولى
لاهم ما جاء في الفكر العربي ، وبالتالي وجدنا انفسنا امام اول بان في
صرح الفلسفة العربية ، ومن احقهم بالعناية والدرس .

وانا ، اذ ننشر هذا البحث في الكندي ، نخطّ اساساً عليه بني
اللاحقون ، وننقل على منهل منه وردوا .

الكندي

٨٠١؟ - ٨٦٦؟

١٨٥؟ - ٢٥٢ هـ؟

ترجمته

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، الملقب « بفيلسوف العرب » .

كان شريف الاصل ، عريق الحسب ، وكان ابوه اسحق اميراً على الكوفة للمهدي (١٥٩-١٦٩ هـ = ٧٧٥-٧٨٥) ، والرشيد (١٧٠ - ١٩٤ هـ = ٧٨٦-٨٠٩) .

قيل انه كان يهودياً واسلم ، وقيل بل كان نصرانياً . وكلا القولين لا يستند الى مقنع .

ولد في البصرة ونشأ ، ثم اتى بغداد . اتصل بالمأمون (١٩٨-٢١٨ هـ = ٨١٣-٨٣٣) ، واخيه المعتصم (٢١٨-٢٢٨ هـ = ٨٣٣-٨٤٢) ، وادب محمد بن المعتصم ، وكان عظيم المازلة عند جميعهم . اما المتوكل (٢٣٣-٢٤٧ هـ = ٨٤٧-٨٦١) فقد نقم عليه ، وضربه ، وابعده . كان الكندي فيلسوفاً ، قريباً من المعتزلة ، فقربه المأمون والمعتصم ، لانها

كلانا من المعتزلة يجبان الفلسفة ، وعضد المتوكل مذهب اهل السنة ، فحنق على الكندي واضطهده . وصبر الكندي على المحنة ، وآثر غنى العقل على رضى الخلفاء :

وعند مليكك فابغر العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال وان التعمز بالانفس^{١)}



ذكر القفطي ان الكندي ترجم الكثير من كتب الفلسفة ، وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب . فهل عرف الكندي السريانية او اليونانية ليقوم بهذه الترجمة ، ام كانت ترجمته تلخيصاً فقط لترجمات غامضة ، وايضاحاً ؟ ان الفرض الثاني اقرب الى روح النص ، وارجح .

وذكر القفطي ايضاً ان الكندي اشتهر بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية . وذكر ابن النديم انه رأى ، بخط فيلسوفنا ، كتاباً في ملل الهند نسخته الاصلية من عام ٢٤٦ هـ = ٨٦٣ . وعليه يكون الكندي اطلع على اهم افكار بيتته ، وان تفاوت هذا الاطلاع عمقاً ومدى .



مات الكندي على اثر علة في ركبته . ويظهر ان الشراب العتيق كان يصلح العلة ، فلما تاب الكندي عن الشراب اشتد المرض واهلكه .



اما خالق الكندي فقد امتاز ، على ما نعلم ، باشياء :
امتاز اولاً بالبخل ، ان صح ما نسب اليه ابن النديم ، وصحت وصيته الى ابنه . وبما جاء في هذه الوصية : « يا بني ، الاب رب ،

(١) من ابيات ذكرها ابن ابي اصيبعة للكندي .

والاخ فنج ، والعم غم ، والحال وبال ، والاقارب عقارب ، وقول «لا»
 يصرف البلا ، وقول «نعم» يزيل النعم . وسماع الغناء بوسام حاد ، لان
 الانسان يسمع فيطرب ، وينفق فيسرف ، فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت
 والدينار محوم ، فان صرفته مات . والدرهم محبوس ، فان اخرجته فر .
 والناس سخرة ، فخذ شينهم واحفظ شيتك ا »

وامتاز الكندي بمآشرته الخلفاء ، والترفع عن سوقة الناس ومخالطة
 العامة ، يدفعه الى ذلك سمو حسب وسمو فكر .
 وامتاز بحب السكينة ، والسلامة من الغم ^(١) ، والتفرغ لشئون
 العقل ، كما يبدو حرصه - من مقدمات رسائله وخاتمتها - على افهام المتعلم ،
 وهداية الجاهل .

تأليفه

ذكر المؤرخون للكندي ما يربو على مائتي مؤلف في مختلف فروع
 الفلسفة ، كما كانت تفهم في ذاك العصر . ونكتفي هنا بذكر اهم ما
 طبع من تأليفه :

١ - كمية كتب ارسطو :

يسرد كتب ارسطو في :

- المنطق : المقولات ، والتفسير (= العبارة) ، والعكس من الرأس
 (= القياس) ، والايضاح (= البرهان) ، والمواضع
 (= الجدل) ، والمنسوب في السوفسطائيين ، والبلاغي ،
 والشعري .

- والطبيعيات : الحبر الطبيعي (= السماع الطبيعي) ، والسماء ،
والكون والفساد ، والعلوي (الآثار العلوية) ،
والمعادن ، والنبات والحيوان .
- والنفسانيات : كتاب النفس ، والحس والمحسوس ، والنوم واليقظة ،
وطول العمر وقصره .
- وما بعد الطبيعيات : كتاب واحد .
- والسياسة : الاخلاق الى نيقوماخوس ، والكتاب المدني .

يقف الكندي عند هذا الحد من التفصيل ، ويقول ان لارسطو غير ذلك كتباً كثيرة ورسائل شتى .
ويرى الكندي حاجة الفيلسوف الى معرفة كتب ارسطو التي حددها
باسمائها ، كما يرى ان فهم هذه الكتب لا يتم الا لمن درس الرياضيات ،
اي العدد والهندسة والتنجيم والتأليف (= الموسيقى) ، ودرس علم
الكم والكيف والجوهر .
وفي الرسالة ذكر لاغراض ارسطو في كتبه ، واشياء في المنطق ،
ومقابلة بين علم الرسل وعلم البشر .

٢ - حدود الاشياء ورسومها :

تحديد لالفاظ فلسفية عديدة .

٣ - الفلسفة الاولى :

اشرف الصناعات الفلسفة ، واشرف الفلسفة الفلسفة الاولى ، اي
« علم الحق الاول الذي هو علة كل حق . » الله ازلي ، غير معلول ،
واحد ، بسيط ، تام ...
ألف الكندي هذا الكتاب للخليفة المعتصم .

٥ - الفاعل الحق الاول والفاعل الثاني بالمجاز :

الفاعل اثنان : فاعل حقيقي يفعل دون ان ينفع ، وهو الله فاعل الكل ؛ وفاعل بالمجاز منفعل عن الله ، او عن منفعل لله ، وهو كل المحاورات .

• - تناهي جرم العالم :

جرم العالم متناهٍ .

٦ - مائة^(١) ما لا يمكن ان يكون لا نهاية ، وما الذي يقال لا نهاية له : يستحيل ما لا نهاية له بالفعل في الجرم والحركة والزمان ، ويمكن بالقوة .

٧ - وحدانية الله وتناهي جرم العالم :

جرم العالم متناهٍ ، ومثله حركته وزمانه . فالعالم اذاً حادث ، وله محدث هو الله . والله واحد .

٨ - العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد :

العلة الفاعلة البعيدة للكون والفساد على الارض هي الله ، علة كل شيء . وسبب كل نظام . اما العلة القريبة فهي الافلاك . ويتطرق الكندي الى تأثير المناخ في اجسام الناس واخلاقهم^(٢) .

٩ - سجود الجرم الاقصى لبارئه :

الاجرام السماوية حية ، ناطقة ، متممة لارادة الله .

•

(١) اي ماهية .

(٢) رسائل الكندي : مصر : ص ٢٢٥-٢٢٦

١٠ - جواهر لا اجسام :

يوجد جواهر ليست جسمانية هي النفوس .

١١ - القول في النفس ، المختصر من كتاب ارسطو وفلاطون وسائر الفلاسفة :

في روحانية النفس ، وخلودها ، وعلمها ، ومصيرها .

١٢ - كلام في النفس مختصر وجيز :

صفحتان قارن فيها الكندي بين ارسطو وافلاطون في مسألة اتصال

النفس بالبدن ، واستخلص ان لا خلاف بين الفيلسوفين .

١٣ - ماهية النوم والرويا :

النوم والرويا نوعان من التفكير اعق من تفكير اليقظة .

١٤ - رسالة في العقل :

عرض لرأي القدماء في العقل ، سيما لرأي ارسطو وافلاطون .

فلسفه

نشأ الكندي في البصرة ، وعاش في بغداد ، يوم كان الفكر مزدهراً في هاتين المدينتين ، ويوم كانت التراجم عن اليونانية في اوجها ، والمعتزلة في اقصى سطوتها ، والخلفاء يدفعون الى التراجم ويؤيدون تعاليم المعتزلة ، فلم يكن بد من ان يتأثر الكندي بذلك الجو الفكري المحموم ، وان يسلك سبله ، ويندفع في تياره .

وان نظرة سريعة على ما خلفه الكندي من كتب ترينا تفشح هذا العقل لكل الوان العلم والفلسفة ، وتأليفه في مختلف نواحي الفكر . لقد ألف في الموسيقى والهندسة والحساب والفلك والطب والتنجيم ، كما ألف في المنطق والنفس والالهيات والسياسة . ولقد استقى الكندي من قدماء اليونان ، من اقليدس وبطليموس وبقراط ، ومن سقراط وافلاطون وارسطو .

على ان اكثر تأليف الكندي مفقود ، وما نعرفه مطبوعاً من كتبه يبحث في شتى المسائل ، دون استقصاء . وانا نوجز اراءه في المسائل التالية : الله - النفس - الاخلاق .

الله

من السهل ان تجد ، في رسائل الكندي ، اقراراً بوجود الله كعلة اولى لوجود العالم ، والحركة فيه ، وللنظام الشائع في كائناته . ومن السهل كذلك ان ترى الكندي يعدد صفات الله ، ويبالغ في التعميد والتفصيل . على انك تلاقي اكثر من عقبة حين تريد ان تبين الالهيين ، وان تميزها ، وان تتدرج من برهان الى آخر .

ومع ذلك اليك ما استخلصناه كبراهين على وجود الله ، ثم اهم ما اثبت الكندي له من صفات :

١ - وجود الله

يمكن ردّ براهين الكندي على وجود الله الى اثنين :

١ - العالم حادث فله محدث :

لا يكون الشيء . علة ذاته^(١) . فكل ما لم يكن ثم كان - كل حادث - له علة أحدثته .

والحال ان العالم الجسماني حادث . فله علة هي الله .

اما برهان حدوث العالم فهذا : لو كان زمان وجود العالم قديماً لا نهاية له ، لما امكن ان ينتهي الى الزمان الحالي ، لانه لا يمكن عدّ مدّات لا نهاية لها . والحال انه انتهى الى الزمان الحالي . اذاً زمان وجود العالم متناهم ، والعالم حادث .

٢ - في العالم تدبير متقن فله مدبّر حكيم :

في العالم تدبير اشبه بتدبير النفس للبدن ، مما دفع القدماء الى وصف الانسان بانه عالم صغير .

والذي يرى ترتيب هذا العالم ، وفعل بعضه في بعض ، واتقان هيئته على الامر الاصلح ، يستدل على وجود مدبّر حكيم رتب كل ذلك ودبّر .

٢ - صفات الله

نكتفي بما اثبت الكندي لله من صفات بالصفات التالية :

١ - الله ازلي :

ليس الله حادثاً وإلا لكان من العالم ، معلولاً . إذاً هو أزلي ، غير معلول ، غير قابل للاستحالة ، تام .

٢ - الله واحد بسيط :

لا شريك لله ، ولا تركيب فيه ، فهو وحدة محض خالٍ من كل أنواع الكثرة .

ان الالهة لا تتعدد الا اذا انفصلت بعضها عن بعض بحالٍ ما ، وبالتالي الا اذا تركبت مما هو عام لها ، ومما هو خاص فاصل . والحال ان لكل مركّب مركّباً ، فلا يبقى الله العلة الاولى . ويحتاج الله كذلك الى مركّب اذا كان فيه نوع من التركيب ، اي تركيب كان .

إذاً الله واحد وبسيط .

٣ - والله صفات اخرى لا يثبتها الكندي ببراہين ، منها انه حيّ ، حكيم ، رحوم ، واقٍ من الزلزل ، ممسك كلّ ما ابدع ، تام القدرة ، فائض الجود ...

العالم

نرى مع الكندي :

١ - اجزاء العالم

في وسط العالم الارض ، ثم تتوالى افلاك بعضها في جوف بعض من فلك القمر الى الفلك الاقصى المحيط ، طبقاً لما علّم بطليموس ، وسيعلم اكثر فلاسفة العرب .

يتكون ما تحت القمر من اربعة عناصر ، الماء ، والهواء ، والتراب والنار ، ويتكون كل جسم من هيولى وصورة .
عالم ما تحت القمر خاضع للتغير ، للكون والفساد ، اما عالم الافلاك فلا فساد فيه .

٢ - تناهي العالم جرمًا وزمانًا وحركة

كل ما في العالم متناهٍ ، ولا شيء فيه لا نهاية له بالفعل . ما لا نهاية له بالقوة فقط جائر .

جرم العالم متناهٍ : اذا فرضنا جرم العالم لا نهاية له ، وفصلنا منه جزءًا متناهي العظم ، فالباقي منه اما متناهٍ واما غير متناهٍ . فان كان الباقي متناهيًا ، فانه ان اعدنا اليه الجزء المتناهي ، المفصول عنه ، يظل متناهيًا . وان كان الباقي غير متناهٍ ، فما يكون حاله ان اعدنا اليه الجزء المفصول ؟ انه لا يمكن ان يصبح اكبر مما كان في الاصل - والا لاصبح ما لا نهاية له اكبر مما لا نهاية له ١ - ، ولا يمكن ان يظل مساويًا لما كان ، وقد زيد عليه جزء . ففرض جرم العالم لا نهاية له يؤدي الى متناقضات ، وبالتالي هو مستحيل .

وزمان العالم متناهٍ - كما رأينا - والا لما امكن ان ينتهي الى الزمان الحاضر ، وبالتالي العالم حادث .

وحركة العالم متناهية : لا حركة دون جرم ، وجرم العالم حادث ، فالحركة كذلك . بتعبير آخر : الزمان مدة تعدها الحركة ، والزمان حادث ، فالحركة كذلك .

الجرم والزمان والحركة لا يسبق بعضهم بعضًا .

٣ - ابداع العالم

ما صدر العالم عن الله بتسلسل وفيض ، ولا صنع الله العالم من مادة غير معلولة . ان الله ابداع كل شيء من لا شيء بقوله له : كن فكان .

وبقاء هذا العالم - مثل وجوده - رهن المشيئة الالهية .

النفس

بحث الكندي في النفس مقتضب وجيز ، مأخوذ - على قوله - من الفلاسفة القدماء كافلاطون وارسطو وغيرهما .
وهذا اهم ما نجد :

١ - بساطة النفس

القوى النفسانية ثلاث : غضبية ، وشهوية ، ونطقية . الغضب والشهوة يعرضان على الحلي ما تحلل من جسده ، ويصلحان ما اختل ، اما النطق فلتمام فضيلته^(١)

وبرهان الكندي على وجود قوة نطقية في الانسان هو هذا : يعرض للانسان غضب او شهوة ، فيهب فيه ما يقاوم الغضب ، ويكبح الشهوة . اذاً في الانسان قوة غير الغضب والشهوة ، هي نفس بسيطة روحية ، نسبتها من الله نسبة ضياء الشمس من الشمس .

٢ - معرفة النفس

قوى الادراك ، عند الكندي ، هي :

١ - الحواس الخمس : تنال صور المحسوسات محمولة في طبيعتها .
 ٢ - المصورة : او الفنتاسيا او التوهم او التخيل : لها اعلان :
 تنال صور المحسوسات مع غيبة طبيعتها ، وتركب منها صوراً جديدة ،
 كإن تركب ، مثلاً ، انساناً طائراً^(١) .

٣ - العقل : نظرية الكندي في العقل ملتبسة غامضة . وهذا ما
 نرى عنده من عقول :

١ - العقل بالقوة :

هو قدرة في النفس على الادراك ، قبل اي ادراك .

ب - العقل بالفعل :

هو العقل بالقوة ، وقد ادرك الكليات - اي انواع الاشياء واجناسها -
 فاصبحت قنية في النفس تستعملها متى شئت ، شأنها شأن الكتابة في
 الكاتب .

ج - العقل الظاهر :

هو العقل حين يدرك الكليات اولاً ، او حين يستعيد لها بعد اقتنائها .
 هو العقل وقت ادراكه الكليات ، شأنه شأن الكاتب حين يكتب
 لأول مرة ، او يراجع ما كتب .

ومن الواضح ان هذه العقول ليست ثلاثة عقول متميزة ، بل هي
 عقل واحد في النفس : قبل ان يدرك المعقولات ، وفي حالة اقتنائه لها
 اقتناء عادياً ، ووقت ادراكها بالفعل اولاً او استعادتها ثانياً .

د - العقل المستفاد :

هو الكليات نفسها ، اي المعقولات التي يدركها عقل الانسان .

وتسمية الكليات عقلاً تسمية تدعو الى الالتباس ، والأولى ان تسمى
المعقول المستفاد .^(١)

هـ - العقل بالفعل ابداً :

يصفه الكندي ، في رسالته في العقل ، بأنه « علة واول لجميع
المعقولات والمعقول الثواني » ، وبأنه هو الذي يخرج العقل بالقوة من القوة
الى الفعل^(٢) .

(١) انظر رسائل الكندي ص ٣٠٢ حيث جاء : « وكذلك معقولها (النفس)
فانه ليس غير القوة منها المسماة عقلاً . »

(٢) ان الكندي ، في كتاب الفلسفة الاولى ، ينسب الى العقل المستفاد - اي
المعقولات - اخراج النفس العاقلة من القوة الى العقل ، اي ما ينسبه - في رسالته
في العقل - الى العقل بالفعل ابداً ، او العقل الاول . ونرى ان نوفق بين القولين
هكذا : ان الكندي يجعل من العقل الاول علة المعقولات ، فهو اذاً - بواسطة
هذه المعقولات - يخرج العقل الانساني من القوة الى الفعل .
بقي ان نعرف ما هو هذا العقل الاول .

ليس هذا العقل قوة في النفس ، لان الكندي يذكره كمقل مستقل ، ويجعل
منه علة لجميع المعقول الثواني . وارى ان نفهم بالمعقول الثواني المعقول الظاهرة
(المختارات : ص ٥٦) .

وليس هذا العقل الله نفسه ، على الارجح ، لان الكندي يرفض ان يكون
الله عقلاً ، لئلا يتكثر بتكثر معقولاته ، هو الواحد المحض . (الفلسفة الاولى
ص ١٥٥ ، ١٦٠) .

وليس هذا العقل العقل الفعّال ، كما ورد في نظرية الفيض عند الفارابي وابن سينا ،
لان الكندي لا يقول بالفيض .

هو ، على ما نعتقد ، عقل مفارق . وقد لا يكون للكندي نفسه فكرة دقيقة
عنه ، بل اخذه عن ارسطو القائل بعقل فمّال شبيه بهذا العقل . ان شراح
ارسطو اختلفوا - وما يزالون - في تحديد طبيعة هذا العقل ، وليس شراح الكندي
باقل ترددًا واختلافًا .

النوم هو ترك استعمال النفس للجواس ، وبالتالي تفرغ النفس الى التفكير : ان النفس لا تنام ، بل النوم نوع من التفكير اصفى واعمق . والنفس ، في نظر الكندي ، علامة بالطبع ، ولهذا تستطيع ان ترى الاشياء قبل كونها ، وان تنبئ بها . ان الكندي لا يشرح بوضوح هذا العلم بالطبع للنفس ، هل هو علم مكتسب ام اصيل . ولكن فكرته تبدو مستوحاة من افلاطون ، من قوله بعلم للنفس غير مكتسب ، دون ان يقول الكندي بنظرية المثل ، ووجود النفس قبل البدن .

ويرى الكندي ان الرؤيا ترىنا الاشياء كما هي ، او ترىنا اضدادها ، او تعبر عنها بالرمز ، فتزمر عن السفر ، مثلاً ، بان ترىنا ذاتنا طائفة ويأتي هذا الاختلاف من تفاوت الاستعداد في الحي لقبول انباء النفس ، ومن قوة النفس على اظهار انبائها .

٢ - النبوة

ما النبوة ؟ وما علاقتها بالفلسفة ؟

بين الفيلسوف والنبى فرقان :

اولاً : الفيلسوف يصل الى الحق ببحث شاق طويل ، اما النبى فيصل اليه بنور الهى ، دون جهد او تكلف . هو الله يطهر نفس النبى وينيرها ، ومتى ظهرت النفس عامت الغيب ، واثت بالوحي .

ثانياً : تعبير النبى افصح بياناً ، وا قوى إيجازاً .

اما من حيث الحق المدرك فلا فرق بين الفيلسوف والنبى : ان كل ما علمه محمد لموجود بالمقاييس العقلية ، وان لذوي الالباب ان يتأولوا كلام النبى . كل خلاف بين الدين والفلسفة هو خلاف بالظاهر فقط : اول الوحي يتفق والفلسفة .

لهذا يرى الكندي ان درس الفلسفة امر مباح . ولما كان الفرد عاجزاً عن نيل الحق والاحاطة به ، وجب علينا ان نشكر القداماء على ما خالفوا ، وان نأخذ عنهم ما تركوا من فلسفة .
ويحمل الكندي على علماء الدين ، المتأجرين بالدين ، ^{الناهين} عن الفلسفة : ألسنا بالفلسفة نعلم الله ، ونعرف الفضيلة ؟

• - مصير النفس

النفس ، في نظر الكندي ، خالدة .
اما سعادتها ففي ما ترى وتعلم ، اذا فارقت البدن : انها تعلم ما يعلم الله ، او دون ما يعلم قليلاً .
على ان هذا العلم لا يتم لها الا اذا كانت معرضة عن الشهوة والغضب ، طاهرة نقية ، شأنها شأن المرأة لا ينعكس فيها نور الشمس الا اذا كانت صقيلة .

ويورد الكندي قولاً لافلاطون خلاصته ان النفس ، اذا تركت البدن وهي غير طاهرة ، صارت من فلك الى فلك ، من فلك القمر الى فلك عطارد ، الى غيرهما من الافلاك ، تهذب في كل منها مدة من الزمن ، حتى اذا صارت الى الفلك الاعلى نقيت غاية النقاء ، وارتفعت الى عالم العقل ، وعلمت كل شيء . وهذا يعني - استنتاجاً - ان لا خلود في الشقاء للنفس الشريرة .

•
اما معاد الجسد فيثبت الكندي ضمناً ، اذ يستشهد بآية من آيات القرآن القائلة به ، ويطلب في اطراء ما في هذه الآية من بيان وإيجاز^(١) .

•
والانسان بعد ، في هذه الحياة ، سريع الزوال ، وعابر سبيل .

الافهم

يدعو الكندي الى الزهد في المحسوس ، والاعراض عن الشهوة ،
والتحلي بالفضيلة .

والفضائل اربع : الحكمة ، والنجدة ، والعفة ، والعدل .
الحكمة علم الاشياء بحقائقها ، واستعمال ما يجب من هذه الحقائق .
والنجدة الاستهانة بالموت في اخذ ما يجب ، او دفع ما يجب . والعفة تناول
الاشياء الضرورية للبدن على قدر الحاجة . والعدل ان تريد ما يجب ، ولا تجور .
هذه الفضائل الاربعة اصول ، ومنها تتشعب باقي الفضائل .
والفضيلة وسط ، طرفاه رذائل : النجدة ، مثلاً ، وسط بين
التهور والخبث .

نظرة عامة

نجد ، عند الكندي ، قضايا اساسية اخذها عن اليونان ، ونظريات كثيرة ردّها فلاسفة العرب . واليك بايجاز اهم هذه القضايا والنظريات :

- ١ - يتكون كل جسم من هيولى وصورة .
- ٢ - العلل اربع : عنصرية ، وصورية ، وفاعلة ، وقامية .
- ٣ - كل كائن اما بالفعل واما بالقوة . لا يخرج كائن من القوة الى الفعل الا تحت تأثير آخر بالفعل . وما هو بالفعل ابداً اقدم .
- ٤ - لا يكون الشيء علة ذاته - وبالتالي لكل حادث علة - ولا علة المتحرك متحركاً .
- ٥ - يستحيل ما لا نهاية له بالفعل - زماناً كان او جسماً - ، ويجوز بالقوة .
- ٦ - الله علة العالم ، ومدبره . وهو ازلي ، بسيط ، تام .
- ٧ - تتكون الاجسام الارضية من عناصر اربعة ، ويتكون العالم من افلاك بعضها في جوف بعض . والعالم حادث^(١) ، متناهي جرم السماء ، صدر عن الله خلقاً لا فيضاً .
- ٨ - النفس بسيطة ، خالدة ، سعادتها في العلم . علم النفس رهن طهرها : علم الغيب ، وعلم الرؤى ، وعلم النبوة ، وعلم الحياة الاخرى . والعقل في المعرفة انواع .
- وتعود النفس الى جسمها بالبعث^(٢) .

(١) انكر اكثر فلاسفة العرب حدوث العالم ، وقالوا بقدمه .

(٢) انكر اكثر فلاسفة العرب بعث الاجساد .

١ - اصول الفضائل اربعة ، والفضيلة وسط بين طرفين .
وهكذا يكون الكندي اول فيلسوف عربي ورد من الفكر اليوناني
اهم نظرياته ، وقال باهم قضاياه ، فكان لمن اتى بعده هادياً ومنهلاً^(١).

(١) على ان الكندي لم يبتعد عن تعليم الاسلام الرسمي ابتعاد لاحقيه ، فقال
بحدوث العالم ، وما انكر بعث الاجسام .

مختارات

أبتنا في هذه المختارات النصوص والرسائل التالية :

- ١ - الازلي
- ٢ - لا يكون الشيء علة ذاته
- ٣ - الفاعل الحق والفاعل بالمجاز
- ٤ - علة ومدبر
- ٥ - ما هو بالفعل أقدم وعلة
- ٦ - العلل اربع
- ٧ - وحدة الله وبساطته
- ٨ - رسالة في وحدانية الله وتناهي جرم العالم
- ٩ - الزمان حادث
- ١٠ - رسالة في القول في النفس
- ١١ - رسالة في العقل
- ١٢ - العقل المستفاد
- ١٣ - الحس والمصورة
- ١٤ - الرويا
- ١٥ - الانسان عالم صغير
- ١٦ - رسالة في حدود الاشياء ورسومها
- ١٧ - فضل القدماء
- ١٨ - ضرورة التأويل
- ١٩ - علم الرسل

الازلي

ان الازلي هو الذي لم يجب ليس هو مطلقاً^(١). فالازلي لا قبل كونياً لهويته . فالازلي هو لا قوامه من غيره^(٢) . فالازلي لا علة له...
الازلي لا يفسد...

والاستحالة تبدل ، فالازلي لا يستحيل ، لانه لا يتبدل ، ولا ينتقل من النقص الى التام ، فالانتقال استحالة ما . فالازلي لا ينتقل الى تام ، لانه لا يستحيل . والتام هو الذي له حال ثابتة يكون بها فاضلاً ، والناقص هو الذي لا حال له ثابتة يكون بها فاضلاً . فالازلي لا يمكن ان يكون ناقصاً ، لانه لا يمكن ان ينتقل الى حال فيكون بها فاضلاً ، لانه لا يمكن ان يستحيل الى افضل منه ، ولا الى انقص منه بته . فالازلي تام اضطراراً .

(من كتاب في الفلسفة الاولى)

الازلي : الذي لم يكن ليس^(٣) ، وليس يحتاج في قوامه الى غيره ؛ والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره فلا علة له ، وما لا علة له فدايم ابداً .
(رساله في حدود الاشياء ورسومها)

(١) اي لم يجب عدم وجوده .

(٢) اي ليس قوامه من غيره ، بل من ذاته .

(٣) ليس : غير موجود .

لا يكونه الشيء، علمه ذاته

ليس ممكناً ان يكون الشيء . علةً كون ذاته . . . لانه لا يخلو من ان يكون أيضاً وذاته ليس ، او يكون ليساً وذاته أيس ، او يكون ليساً وذاته ليس ، او يكون ايساً وذاته أيس .
فان كان ليساً ، وذاته ليس ، فهو لا شيء . وذاته لا شيء . . ولا شيء . لا علة ولا معلول ، لان العلة والمعلول اثنا هما مقولان على شيء . له وجود ما . . .

وكذلك يعرض ان كان ليساً ، وذاته أيس . لانه ايضاً - اذ هو ليس - لا شيء . . ولا شيء . لا علة ولا معلول ، كما قدمنا . فهو لا علة كون ذاته . .

وكذلك يعرض ان كان ايساً ، وذاته ليس^(١) . . .
وكذلك ايضاً يعرض ان كان ايساً ، وذاته ايس^(٢) . . .
ومثل هذا ايضاً يعرض ان كان ليساً ، وذاته ليس^(٣) . . .
فليس يمكن اذا ان يكون شيء علة كون ذاته .

(كتاب الفلسفة الاولى)

الفاعل بالحق، والفاعل بالمجاز

ان الفعل الحقيقي الاول تأييس الأيسيات عن ليس^(٢) .
وهذا الفعل بين انه خاصة لله تعالى الذي هو غاية كل علة . فان

-
- (١) ما هو ليس اي غير موجود لا يمكن ان يكون علةً او معلولاً .
(٢) ان كان الشيء علةً لذاته ، كان غير ذاته ، وكان هو هو ، وهو لا هو ، وهذا غير ممكن .
(٣) أيس : أوجد . الايسيات : الموجودات . عن ليس : عن لا شيء .

تأسيس الایسیات عن لیس لیس لغيره . وهذا الفعل هو المخصوص بالابداع^(١) .
فاما الفعل الحقّي الثاني ، الذي يلي هذا الفعل ، فهو اثر المؤثر في المؤثر
فيه . فاما الفاعل الحقّي فهو المؤثر فيه ، من غير ان يتأثر هو بجنس من اجناس
التأثر . فاذاً الفاعل الحقّي هو الفاعل مفعولاته من غير ان ينفعل هو بته .
فاما المنفعل فهو المتأثر من تأثير المؤثر ، اعني المنفعل عن الفاعل .

فاذاً الفاعل الحقّي الذي لا ينفعل بته هو الباري ، فاعل الكل ،
جلّ ثناؤه . واما ما دونه ، اعني جميع خلقه ، فانها تسمّى فاعلات
بالمجاز ، لا بالحقیقة ، اعني انها كلها منفعلة بالحقیقة . فاما اولها فعن باريه
تعالی ، وبعضها عن بعض ، فان الاول منها ينفعل ، فينفعل عن انفعاله
آخر ، ينفعل عن انفعال ذلك آخر ، وكذلك حتى يُنتهى الى المنفعل
الاخير منها . فالمنفعل الاول منها يسمّى فاعلاً بالمجاز للمنفعل عنه ، اذ
هو علة انفعاله القریبة ، وكذلك الثاني ، اذ هو علة الثالث القریبة في
انفعاله ، حتى ينتهى الى آخر المفعولات . فاما الباري تعالی فهو العلة
الاولی لجميع المفعولات التي بتوسط ، والتي بغير توسط ، بالحقیقة ، لانه
فاعل لا منفعل بته ، الا انه علة قریبة للمنفعل الاول ، وعلة بتوسط لما
بعد المنفعل الاول من مفعولاته .

(رسالة في الفاعل الحقّي الاول التام والفاعل الناقص الذي هو بالمجاز)

علمه ومدبر

ان في الظاهرات للحواس ، اظهر الله لك الخفیّات ، لاوضح الدلالة
على تدبیر مدبرٍ أوّل ، اعني مدبراً لكل مدبرٍ ، وفاعلاً لكل فاعل ،
ومكوّناً لكل مكوّن ، واولاً لكل اول ، وعلة لكل علة ، لمن كانت
حواسه الآلیّة موصولةً باضواء عقله ، وكانت مطالبه وجدان الحقّ . . .

(١) الابداع : اظهار الشيء عن لیس (عن رسالة في حدود الاشياء ورسومها) .

ان الله ، جلّ ثناؤه ، - وهو الآتيّة^١ الحق التي لم تكن ليس ، ولا تكون ليساً ابداً - لم يزل ولا يزال ايس ابداً ، وانه هو الحى الواحد الذي لم يتكثّر بثّة ، وانه هو العلة الاولى التي لا علة لها ، الفاعلة التي لا فاعل لها ، والمتّمة التي لا متّمة لها ، والمؤيّس الكل عن ليس ، والمصير بعضه لبعض اسباباً وعللاً . . .

ان في نظم هذا العالم وترتيبه ، وفعل بعضه في بعض ، وانقياد بعضه لبعض ، واتقان هيئته على الامر الاصلح في كون كل كائن ، وفساد كل فاسد ، وثبات كل ثابت ، وزوال كل زائل ، لاعظم دلالة على اتقن تدبير - ومع كل تدبير مديّر - وعلى احكم حكمة ، ومع كل حكمة حكيم . . .

(الابانة عن العلة الفاعلة القرينة للكون والفساد)

ما هو بالفعل اقدم وعلة

ان كانت الاشياء . . . إما شيئاً بالفعل ابداً ، واما بالقوة ابداً ، واما بالقوة ثم يخرج الى الفعل ، وكان الذي بالفعل ابداً اقدم من الذي بالقوة ثم خرج الى الفعل ، لانه علة خروجه الى الفعل . . . ، فاذن ان كلّ شيء خارج من القوة الى الفعل فهو ما تحت الـكون ، اذ هو خارج ابداً من حال قد كانت له بالقوة .

(١) الآتيّة : معنى هذه الكلمة واضح تقريباً وهو يدل على وجود الشيء ، وحقيقته . على ان ضبط شكلها ، واصلاح امره يختلف عليه . ففي ما خصّ الشكل ، ضبطت هذه الكلمة آتيّة ، وإتيّة . وفي ما خصّ الاصل ، قيل انها من إنّ العريّة ، او من إنّ ، وقيل انها من اللفظ اليوناني εἶναι (أن : اي الوجود او الموجود) ، او οὐ (أون : اي الكائن) .

وان كان شي. بالفعل ابدًا ، لم يكن بالقوة ، فهو الذات التي لا تقع تحت الكون .
 فاذن ما ليس تحت الكون علةٌ خروج ما تحت الكون الى الكون الذي كان له بالقوة .

(الابانة عن سجود الجرم الاقصى وطاعته لله)

العلل اربع

ان العلل الطبيعية اما ان تكون عنصرية ، واما صورية ، واما فاعلة ، واما تامة .
 اعني بالعنصرية عنصر الشيء الذي منه يكون الشيء . كالذهب الذي هو عنصر الدينار الذي منه كون الدينار .
 واعني بالصورة صورة الدينار التي باتحادها بالذهب كان الدينار .
 واعني بالفاعلة صانع الدينار ...
 واعني بالتامة ما له أحد الصانع صورة الدينار بالذهب ، التي هي المنفعة بالدينار ، ونيل المطلوب به .
 (الابانة عن الملة الفاعلة القريبة للكون والفساد)

وحدة الله او بساطته

ان الواحد الحق ليس هو عنصر ، ولا جنس ، ولا نوع ، ولا شخص ، ولا فعل ، ولا خاصة ، ولا عرض عام ، ولا حركة ، ولا نفس ، ولا عقل ، ولا كل ولا جزء ، ولا جميع ولا بعض ، ولا واحد بالاضافة الى غيره ، بل واحد مُرْسَل ...

فالواحد الحق اذن لا ذو هيولى ، ولا ذو صورة ، ولا ذو كمية ،
ولا ذو كيفية ، ولا ذو اضافة ...

فهو اذن وحدة فقط محض ، اعني لا شيء غير وحدة ، وكل واحد
غيره فتكثر .

(الفلسفة الاولى)

رسالة

في وعدانية الله وتناهي جرم العالم
الى علي به الجهرتم^(١)

(١) هو شاعر خراساني الاصل، قرببه المتوكل مدة ثم نفاه، توفي عام ٥٢٤٩ = ٨٦٣

١١) تمهيد

حاطك الله ، ايها الاخ المحمود ، بصنعه ، وسدّك بتوفيقه ، وحرسك بعافيته من كل زلل ، ووقفك بتطوّله لأزكى عمل ، وبلّغك من معرفته قرار رضوانه ، ومستحقّ احسانه .

فهمتُ ما سألت من وضع ما كنت سمعتني اوضحه بالقول - من وحدانية الله عزّ ذكره ، ومن تناهي جرم العالم ، وامتناع شيء بالفعل من ان يكون لا نهاية له ، وان ما لا نهاية له انما هو موجود في القوة لا في الفعل - في كتاب يكون حافظاً على فكرك صورة القول الى استحكام الفهم ، وان اوجز لك القول في ذلك ايجازاً لا يكون معه تفريق للفهم ، ولا حاجز عن حفظ . وانا اسأل واهب الخيرات ، وقابل الحسنات ، ان يوفق ذلك لمطلوبك ، ويُحسن به هدايتك الى سبيل الرشاد ، البعيدة من احوال المعاد . ولعمري ما هذا الموضع بمستغن عن الاطالة والاطناب الا عند من بلغ درجتك من النظر ، وحسن المعتبر ، وأُتيد بمثل فهمك ، وحرس من الميل الى الهوى مثل غزلك .

وقد رسمت لك في ذلك على قدر الطاقة ، على شرائطك ، ولم آلك في ايضاح ذلك جهداً . فكن به سعيداً ، وقرّ به حميداً ، اسعدك الله في دنياك وآخرتك ، واجمل لك جميع عواقبك .

المقدمات الاولى

- وهذا مبدأ قولنا من مطلوبك :
- ان المقدمات الاولى الواضحة ، المعقولة بغير توسط :
- أن كلَّ الاجرام ، التي ليس منها شيء اعظم من شيء ، متساوية .
- والمتساوية ، ابعادُ ما بين نهاياتها واحدة بالفعل والقوة .
- وذو النهاية ليس لا نهاية له .
- وكل الاجرام المتساوية ، اذا زيد علي واحدٍ منها جرمٌ ، كان اعظمها ، وكان اعظم مما كان من قبل ان يُزاد عليه ذلك الجرم .
- وكل جرمين متناهيي العظم ، اذا جمعا ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ، وهذا واجب في كل عظم ، وكل ذي عظم .
- وان الاصغر من كل شيئين متجانسين بَعْدَ الاعظم منهما ، او بَعْدَ بعضه .

تناهي الجرم

- فان كان جرم لا نهاية له ، فانه اذا فصل منه جرمٌ متناهي العظم ، فان الباقي اما ان يكون متناهي العظم ، واما لا متناهي العظم .
- فان كان الباقي متناهي العظم ، فانه ، اذا زيد عليه المفضول منه ، المتناهي العظم ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ؛ والذي كان عنها هو الذي كان قبل ان يفصل منه شيء . ، لا متناهي العظم ، فهو اذن متنامٍ لا متناهِ ، وهذا خُلف لا يمكن .
- وان كان الباقي لا متناهي العظم ، فانه اذا زيد عليه ما أُخذ منه ، صار اعظم مما كان قبل ان يُزاد عليه ، او مساوياً له .
- فان كان اعظم مما كان فقد صار ما لا نهاية له اعظم مما لا نهاية

له^(١) ... وهذا خلف لا يمكن ، فليس أحدهما اعظم من الآخر .
وان كان ليس باعظم مما كان ، قبل ان يُزاد عليه ، فقد زيد على
جرم جرمٌ فلم يزد شيئاً ، وصار جميع ذلك مساوياً له وحده ، وهو
وحده جزء له ، فالجزء مثل الكل . هذا خلف لا يمكن .
فقد تبين انه لا يمكن ان يكون جرمٌ لا نهاية له .

محمول المتناهي متناهٍ

والاشياء المحمولة في المتناهي متناهية اضطراراً . وكل محمول في
الجرم من كمٍّ او مكان ، او حركة ، او الزمان الذي هو فاصل
الحركة ، وجملة كل ما هو محمول في الجرم فتنام ايضاً ، اذ الجرم متناهٍ .
فجرم الكل متنام ، وكل محمول فيه ايضاً .

يجوز ما لا نهاية له بالقوة

واذ جرم الكل ممكنٌ أن يُزاد فيه بالوهم زيادةً دائمةً - أن
يُتوهم اعظمُ منه ، ثم اعظم من ذلك دائماً ، فانه لا نهاية في التزايد
من جهة الامكان - فهو بالقوة لا نهاية له ، اذ القوة ليست شيئاً سوى
امكان ان يكون الشيء المقول بالقوة . وكل ما في الذي لا نهاية له
بالقوة فهو ايضاً بالقوة لا نهاية له .

تناهي الحركة والزمان

ومن ذلك الحركة والزمان - فان الذي لا نهاية له انما هو في القوة،

(١) اهلنا هنا نحو خمسة اسطر مضطربة التعبير تدور حول اثبات بدعيات .

فاما في الفعل فليس يمكن ان يكون شيء لا نهاية له ، كما قدمنا ،
وان ذلك واجب .

فقد اتضح انه لا يمكن ان يكون زمان بالفعل لا نهاية له
والزمان زمان جرم الكل ، اعني مدته . فان كان الزمان متناهيًا ، فان
انية الجرم متناهية ، اذ الزمان ليس بوجود .

ولا جرم بلا زمان ، لان الزمان انما هو عدد الحركة ، اعني انه
مدة تعدها الحركة . فان كانت حركة كان زمان ، وان لم تكن
حركة لم يكن زمان .

والحركة انما هي حركة الجرم ، فان كان جرم كانت حركة ،
وان لم يكن جرم لم تكن حركة^(١) . . .

والجرم جوهر ذو ابعاد ثلاثة ، اعني طولاً وعرضاً وعمقاً ، فهو
مركب من الجوهر الذي هو جنسه ، ومن الابعاد التي هي فصوله . وهو
المركب من هيولى وصورة .

والتركيب تبدل الاحوال ، التي هي لا تركيب . فالتركيب حركة .
وان لم يكن حركة لم يكن التركيب .

والجرم مركب ، كما اوضحنا . فان لم يكن حركة لم يكن جرم .
فالجرم والحركة لا يسبق بعضها بعضاً .

وبالحركة الزمان ، لان الحركة تبدل ما ، والتبدل عاذاً مدة المتبدل ،
فالزمان مدة تعدها الحركة .

ولكل جرم مدة هي الحال هو فيها^(٢) انية ، اعني الحال التي هو فيها .
والجرم لا يسبق الحركة ، كما اوضحنا . والجرم لم يسبق مدة تعدها الحركة .

(١) اهلنا نحو ستة اسطر فصل فيها الكندي انواع الحركة ، فضعت الصلة بين
مقدمات البرهان .

(٢) يعود هو الى جرم ، والضمير في فيها الى الحال .

فالجزم والحركة والزمان لا يسبق بعضها بعضاً في الآنية ، فهي معاً .

تأهي الزمان ايضاً ومدوك العالم

كل تبدل بفاصل مدة ، والمدة المفصولة هي الزمان .
وقبل كل فصل من الزمان فصل ، الى ان يُنتهى الى فصل ليس قبله فصل ، اي الى مدة مفصولة ليس قبلها مدة .
ولا يمكن غير ذلك . فان امكن ذلك ^(١) ، فان خلف كل فصل من الزمان فصلاً بلا نهاية . فاذا لا يُنتهى الى زمان مفروض ابداً ، لأن من لا نهاية في القدم الى هذا الزمان المفروض مساو مدته للدة من الزمان المفروض متصاعداً في الازمنة الى ما لا نهاية له .
وان كان من لا نهاية الى زمن محدود معلوم ، فان من ذلك الزمن المعلوم الى ما لا نهاية من الزمان معلوماً ^(٢) .

فيكون اذن لا متناهيأ متناهيأ ، وهذا خلف لا يمكن البتة ^(٣) .
وايضاً ان كان لا يُنتهى الى الزمن المحدود حتى يُنتهى الى زمن قبله ، وكذلك بلا نهاية - وما لا نهاية له لا تقطع مسافته ، ولا يُؤق على آخرها ، فانه لا يُقطع ما لا نهاية له من الزمن حتى يتناهي الى زمن محدود بته ، والانهاء موجود - فليس الزمان متصلاً من لا نهاية ،

(١) اي غير ذلك .

(٢) معنى الجملة : ان كان الزمان الممتد من القدم الى زمن محدود زماناً معلوماً ، فان الزمان الممتد من هذا الزمان المعلوم الى القدم زمان معلوماً ايضاً .

(٣) برهان الكندي في هذا النص غامض ، وهذا على ما نرى ، ملخصه : اذا سلمنا بقدم الزمان ، بزمان لا نهاية له في الماضي ، لا يمكن القول بان هذا الزمان تنهى وبلغ زماناً ما مفروضاً من الازمنة . والحال انه بلغ هذا الزمان المفروض اذا الزمان غير قديم ، متناه .

بل من نهاية اضطراراً . فليست مدة الجرم بلا نهاية .
وليس ممكناً ان يكون جرم بلا مدة ، فانية الجرم ليست لا نهاية
لها ، وانية الجرم متناهية . فيمتنع ان يكون جرم لم يزل . فالجرم اذا
محدث اضطراراً ، والمحدث محدث المحدث ، اذ المحدث والمحدث من
المضاف ، فللكل محدث اضطراراً عن ليس .

المحدث واعد

والمحدث لا يخلو ان يكون واحداً او كثيراً .
فان كان كثيراً ، فهم مركبون ، لان لهم اشتراكاً في حال واحدة
لجميعهم ، اي لانهم اجمعين فاعلون - والثشي الذي يعنه شي . واحد
انما يتكرر ان ينفصل بعضه من بعض بجال ما ، فان كانوا كثيراً ففيهم
فصول كثيرة ، فهم مركبون بما عنهم ومن خواصهم ^(١) . . .
والمركبون لهم مركب ، لان مركباً ومركباً من باب المضاف .
فيجب اذن ان يكون للفاعل فاعل . فان كان الواحد ، فهو الفاعل
الاول . وان كان كثيراً ، وفاعل الكثير كثير دائماً ، وهذا يخرج بلا
نهاية . وقد اتضح بطلان ذلك ، فليس للفاعل فاعل .
فاذن ليس كثيراً ، بل واحد غير متكرر ، سبحانه وتعالى . عن
صفات الملحين علواً كبيراً ، لا يشبه خلقه ، لان الكثرة في كل الخلق
موجودة ، وليست فيه بثة ، ولانه مبدع وهم مبدعون ، ولانه
دائم وهم غير دائمين ، لان ما تبدل تبدلت احواله ، وما تبدل فهو
غير دائم .

(١) اهلنا جملة غامضة لا يضر اهلها بالمعنى .

خاتمة

فلاحظ هذه المعاني ، ايها الاخ المحمود ، بعين عقلك ، واقتنِها حياة
 نفسك الزكية ، وصابر نفسك على اقتفاء آثارها الحفِيّة ، تفضّ بك
 الى سعة اوطان المعرفة ، ولين مرتفق الراحة ، وظل رحمة مبدع
 الرحمة .

واياه اسأل ان ينير فهدك ، ويوسع علمك ، ويُسعد بذلك
 عواقبك .

الزمانه حادث

ليس يمكن ان يكون زمان لا نهاية له في البدء ، لانه ان كان زمان لا نهاية له في البدء لم يتناه الى زمن مفروض بته ، لانه ، ان اتى من لا نهاية الى زمن مفروض ، فمن لا نهاية الى زمن مفروض معدود اجزاء متساوية من الزمان . فان كان من لا نهاية في الزمن الى زمن مفروض معدوداً ، فمن الزمن المفروض متصاعداً في الازمنة التي سلفت مساوٍ من لا نهاية الى الزمن المفروض ، لان من لا نهاية الى الزمن المفروض مُقبلاً هو الزمن بعينه الذي هو من المفروض الى ما لا نهاية راجعاً . فاذا المعداد ، المساوي لمعدود متناوٍ ، متناوٍ ، لان الاعداد المتساوية هي التي لا يزيد بعضها على بعض ولا وحدانية واحدة . فاذا الزمن الذي لا نهاية له متناوٍ ، وهذا خلف لا يمكن . فاذا انية الزمن متناهية^(١) .

وقد انبأنا ان الزمان والحركة والجرم لا يسبق بعضها بعضاً في الانية ، فاذا لا الجرم ولا الحركة ، ولا الزمان اذلية .

(في ماهية ما لا يمكن ان يكون لا نهاية ، وما الذي يقال لا نهاية له) .

(١) خلاصة البرهان هي هذه : لو كان الزمان لا نهاية له في الماضي لما انتهى الى زمن مفروض ، لما انتهى ، مثلاً ، الى الزمن الحاضر ، لان ما لا نهاية له لا يتناهي .

رسالة

في القول في النفس ، المختصر من كتاب ارسطو وافلاطون
وسائر الفلاسفة

غاية الرسالة

سدّدك الله بدرك الحق ، واعانك على نيل مستوعراته .
 انه سالت ، اسعدك الله بطاعته ، ان اختصر لك قولاً في النفس ،
 وآتي على الغاية التي اليها جرى الفلاسفة في ذلك ، مع اختصار لكتاب
 ارسطو في النفس .
 ولست آلو جهداً في استعمال البلوغ الى محابك ، والمبادرة الى ما
 سألت ، بتلخيص كافٍ ، وفحص شافٍ ، ان شاء الله تعالى ، وبه
 القوة ، فاقول :

باطن النفس

ان النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها
 من جوهر الباري ، عز وجل ، كقياس ضياء الشمس من الشمس .
 وقد بين^(١) ان هذه النفس منفردة عن هذا الجسم ، مباينة له ،
 وان جوهرها جوهر الهي روحاني ، بما يرى من شرف طباعها ، ومضادتها
 لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب .
 وذلك ان القوة الغضبية قد تتحرك على الانسان في بعض الاوقات ،

(١) بين : انضح .

فتجمله على ارتكاب الامر العظيم ، فتضادها هذه النفس ، وتمنع الغضب من ان يفعل فعله ، او ان يرتكب الغيظ وترته ^(١) ، وتضبطه كما يضبط الفارسُ الفرس ، اذا هم ان يسمح به ، او يده ^(٢) . وهذا دليل بين على ان القوة ، التي يغضب بها الانسان ، غير هذه النفس التي تمنع الغضب ان يجري الى ما يهواه ، لان المانع ، لا محالة ، غيرُ الممنوع ، لانه لا يكون شي . واحد يضاد نفسه .

فاما القوة الشهوانية فقد تتوق ، في بعض الاوقات ، الى بعض الشهوات ، فتفكر النفس العقلية في ذلك انه خطأ ، وانه يؤدي الى حال ردية ، فتمنعها عن ذلك وتضادها . وهذا ايضا دليل على ان كل واحدة منها غير الاخرى .

علم النفس بعد الموت رهن طهرها في الحياة

وهذه النفس ، التي هي من نور الباري ، عز وجل ، اذا هي فارقت البدن ، علمت كل ما في العالم ، ولم يخف عنها خافية . والدليل على ذلك قول افلاطون ، حيث يقول ان كثيرا من الفلاسفة الطاهرين القدماء ، لما تجردوا من الدنيا ، وتماونوا بالاشياء المحسوسة ، وتفردوا بالنظر والبحث عن حقائق الاشياء ، انكشف لهم علم الغيب ، وعلموا بما يخفيه الناس في نفوسهم ، واطلعوا على سرائر الخلق . فاذا كان هذا هكذا ، والنفس بعد مرتبطة بهذا البدن ، في هذا العالم المظلم الذي لولا نور الشمس لكان في غاية الظلمة ، فكيف اذا تجردت هذه النفس ، وفارقت البدن ، وصارت في عالم الحق ، الذي فيه نور الباري سبحانه ؟

(١) ترة الغيظ : شهرته الانتقام .

(٢) يمد الفرس : اي يرخي له العنان .

ولقد صدق افلاطون في هذا القياس ، واصاب به البرهان الصحيح .



ثم ان افلاطون اتبع هذا القول بان قال : فاما من كان غرضه ، في هذا العالم ، التلذذ بالآكل والمشرب المستحيلة إلى الجيف ، وكان ايضا غرضه في لذة الجماع ، فلا سبيل لنفسه العقلية الى معرفة هذه الاشياء الشريفة ، ولا يمكنها الوصول الى التشبه بالباري سبحانه .

ثم ان افلاطون قاس القوة الشهوانية التي للانسان بالخنزير ، والقوة الغضبية بالكلب ، والقوة العقلية التي ذكرنا بالملك ، وقال : من غلبت عليه الشهوانية ، وكانت هي غرضه واكثر همته ، فقياسه قياس الخنزير ؛ ومن غلبت عليه الغضبية ، فقياسه قياس الكلب ؛ ومن كان الاغلب عليه قوة النفس العقلية ، وكان اكثر ادبه الفكر والتمييز ومعرفة حقائق الاشياء والبحث عن غوامض العلم ، كان انساناً فاضلاً ، قريب التشبه من الباري سبحانه ، لأن الاشياء التي نجدها للباري ، عز وجل ، هي الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والحق ، وقد يمكن للانسان ان يدبر نفسه بهذه الحيلة ، حسب ما في طاقة الانسان ، فيكون حكيماً ، عدلاً ، جواداً ، خيراً ، يؤثر الحق والجميل^(١) . . .

فان النفس ، على رأي افلاطون وجلة الفلاسفة ، باقية بعد الموت ، جوهرها كجواهر الباري ، عز وعلا ، في قوتها — اذا تجردت — ان تعلم سائر الاشياء كما يعلم الباري بها ، او دون ذلك برتبة يسيرة ، لانها اودعت من نور الباري ، عز وجل .

واذا تجردت ، وفارقت هذا البدن ، وصارت في عالم العقل فوق الفلك ، صارت في نور الباري ، ورأت الباري ، عز وجل ، وطابقت

نوره ، وجأت^(١) في ملكوته ، فأنكشف لها حالاً علم كل شيء ، وصارت الاشياء كلها بارزة لها كمثل ما هي بارزة للباري عز وجل . لانا اذا كنا ، ونحن في هذا العالم الدنس ، قد نرى فيه اشياء كثيرة بضوء الشمس ، فكيف اذا تجردت نفوسنا ، وصارت مطابقة لعالم الديومة ، وصارت تنظر بنور الباري ؟ فهي لا محالة ترى بنور الباري كل ظاهر وخفي ، وتقف على كل سرّ وعلانية .

النفس كالمرآة .

وكان افسقورس^(٢) يقول : « ان النفس اذا كانت ، وهي مرتبطة بالبدن ، تاركة للشهوات ، متطهرة من الادناس ، كثيرة البحث والنظر في معرفة حقائق الاشياء ، انصقلت صقالة ظاهرة ، واتحد بها صورة من نور الباري ، يحدث فيها ويكامل نور الباري ، بسبب ذلك الصقال الذي اكتسبه من التطهر . فحينئذ يظهر فيها صور الاشياء كلها ومعرفتها ، كما يظهر صور خيالات ساير الاشياء المحسوسة في المرآة اذا كانت صقيلة . فهذا قياس النفس : لأن المرآة اذا كانت صدئة ، لم يتبين صورة شيء فيها بتة ، فاذا زال منها الصدأ ظهرت وتبينت فيها جميع الصور ؛ كذلك النفس العقلية ، اذا كانت صدئة دنسة ، كانت على غاية الجهل ، ولم يظهر فيها صور المعلومات ، واذا تطهرت وتهذبت - وصفاء النفس هو ان النفس تتطهر من الدنس ، وتكتسب العلم - ظهر فيها حالاً صورة معرفة جميع الاشياء ، وعلى حسب جودة صقالتها تكون معرفتها بالاشياء . فالنفس ، كلما ازدادت صقلاً ، ظهر لها وفيها معرفة الاشياء .

(١) جلّت : عظمت .

(٢) هكذا في الاصل ، وهو ابيقورس .

النفس لا تنام

وهذه النفس لا تنام بته ، لأنها في وقت النوم تترك استعمال الحواس ، وتبقى محصورة ، ليست ببجودة على حدتها^(١) ، وتعلم كل ما في العوالم ، وكل ظاهر وخفي . ولو كانت هذه النفس تنام ، لما كان الانسان - اذا رأى في النوم شيئاً - يعلم انه في النوم ، بل لا يفرق بينه وبين ما كان في اليقظة . واذا بلغت هذه النفس مبلغها في الطهارة ، رأت في النوم عجائب من الاحلام ، وخاطبتها الانفس التي فارقت الابدان ، وافاض عليها الباري من نوره ورحمته ، فتلتذ حينئذ لذة دائمة ، فوق كل لذة تكون بالمطعم والمشرب والنكاح والسمع والنظر والشم واللمس ، لأن هذه لذات حسية دنسة تعقب الاذى ، وتلك لذة الهية روحانية تعقب الشرف الاعظم . والشقي المعرور الجاهل من رضي لنفسه بلذات الحس ، وكانت هي اكثر اغراضه ، ومنتهى غايته .

هذا العالم معبر

وانما نجى . في هذا العالم في شبه المعبر والجسر ، الذي يجوز عليه السيارة ، ليس لنا مقام يطول . واما مقامنا ومستقرنا الذي نتوقع فهو العالم الاعلى الشريف ، الذي تنتقل اليه نفوسنا بعد الموت ، حيث تقرب من باريها ، وتقرب من نوره ورحمته ، وتراه رؤية عقلية لا حسية ، ويفيض عليها من نوره ورحمته^(٢) . فهذا قول افسقورس .

فاما افلاطن فقال ، في هذا المعنى : « ان مسكن الانفس العقلية ، اذا تجردت ، هو ، كما قال الفلاسفة القدماء ، خلف الفلك ، في عالم الربوبية ، حيث نور الباري .

(١) اي ليست بمفارقة للجسد .

(٢) ينتهي هنا قول ابيقورس الذي بدأ في اول مقطع « النفس كالمرآة » ، ص ٤٦

نظهير النفس بعد الموت

« وليس كل نفس تفارق البدن تصير من ساعتها الى ذاك المحل ، لأن من الانفس ما يفارق البدن ، وفيها دنس واشياء خبيثة ، فمنها ما يصير الى فلك القمر فيقيم هناك مدة من الزمان ، فاذا تهذبت ونقيت ارتفعت الى فلك العطارذ فتقيم هناك مدة من الزمان ، فاذا تهذبت ونقيت ارتفعت الى فلك كوكب . فتقيم في كل فلك مدة من الزمان . فاذا صارت الى الفلك الاعلى ، ونقيت غاية النقاء ، وزالت ادناس الحس وخيالاته وخبثه منها ، ارتفعت حالا الى عالم العقل ، وجازت الفلك ، وصارت في اجل محل واشرفه ، وصارت حالا بحيث لا تخفى عليها خافية ، وطابقت نور الباري ، وصارت تعلم كل الاشياء ، قليلا وكثيرا ، كعلم الانسان باصبعه الواحدة ، او بظفره ، او بشعرة من شعره ، وصارت الاشياء كلها مكشوفة بارزة لها ، وفوض اليها الباري اشياء من سياسة العالم تلتذ بفعلها ، والتدبير لها . »

ولعمري لقد وصف افلاطون ، واوجز ، وجمع ، في هذا الاختصار ، معاني كثيرة .

لا علم دونه طهر

ولا وصلة الى بلوغ النفس الى هذا المقام والرتبة الشريفة ، في هذا العالم ، وفي ذاك العالم ، الا بالتطهير من الادناس . فان الانسان ، اذا تطهر من الادناس ، صارت نفسه حالا صقيلة تصلح ، وتقدر ان تعلم الحقيقات من الغيوب . وقوة هذه النفس قريبة الشبه بقوة الاله ،

تعالى شأنه ، اذا هي تجردت عن البدن ، وفارقتة ، وصارت في عالمها الذي هو عالم الربوبية .

والعجب من الانسان كيف يهمل نفسه ، ويبعدها من باريتها ، وحالها هذه الحالة الشريفة !

وقد وصف ارسطاطاليس امرَ الملك اليوناني الذي تخرج بنفسه ، فكث لا يعيش ولا يموت اياماً كثيرة ، كلما افاق اعلم الناس بفنون من علم الغيب ، وحدثهم بما رأى من الانفس والصور والملائكة ، واعطاهم في ذلك البراهين . واخبر جماعة من اهل بيته بعمر واحد واحد منهم ، فلما امتحن كل ما قال ، لم يتجاوز احد منهم المقدر الذي حدّه له من العمر . واخبر ان خسفاً يكون في بلاد الأوس ، بعد سنة ، وسيل يكون في موضع آخر بعد سنتين ، فكان الامر كما قال .

وذكر ارسطاطاليس ان السبيل في ذلك ان نفسه انما علمت ذلك العلم ، لانها كادت ان تفارق البدن ، وانفصلت عنه بعض الانفصال ، فرأت ذلك . فكيف لو فارقت البدن على الحقيقة ؟ اكانت قد رأت عجائب من أمر الملكوت الاعلى !

طهر نفسك

فقل للبائسين ، ممن طبعه ان يبكي من الاشياء المحزنة ، ينبغي ان يبكي ويكثر البكاء على من يهمل نفسه ، وينهك^(١) من ارتكاب الشهوات الخفية الحسية الدنية الموهة التي تكسبه الشره ، وقيل بطبعه الى طبع البهائم ، ويدع ان يتشاغل بالنظر في هذا الامر الشريف ، والتخلص

(١) ينهك : يبالغ .

اليه ، ويطهر نفسه حسب طاقته . فان الطهر الحق هو طهر النفس ، لا طهر البدن . . .

ومن فضيلة المتعبد لله ، الذي قد هجر الدنيا ولذاتها الدنيّة ، ان الجهال كلهم - الا من سخر منهم بنفسه - يعترف بفضله ، ويحله ، ويفرح ان يطلع منه على الخطأ .

فيا ايها الانسان الجاهل ، الا تعلم ان مقامك في هذا العالم انما هو كلمة ، ثم تصير الى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه ابد الابدين ؟ ! وانما انت عابر سبيل في هذا الامر ، ارادة باريك عز وجل . فقد علمته جلّة الفلاسفة ، واختصرناه من قولهم ان النفس جوهر بسيط .

فتفهم ما كتبت به اليك تكن سعيداً ، اسعدك الله تعالى في دنياك وآخرتك .

رسالة

في العقل

فهيك الله النافعات ، واسعدك في دار الحياة ودار المات .

فهت الذي سألت من رسم قول في العقل ، موجز خبري ، على رأي المحمودين من قداماء اليونان ، ومن احمدهم ارسطاطاليس ومعلمه افلاطون الحكيم ، اذ كان حاصل قول افلاطون في ذلك قول تلميذه ارسطاطاليس .

فلنقل في ذلك ، على السبيل الخبري ، فنقول :

ان رأي ارسطاطاليس في العقل ان العقل على اربعة انواع : الاول منها العقل الذي بالفعل ابداً . والثاني العقل الذي بالقوة ، وهو للنفس . والثالث العقل الذي خرج في النفس من القوة الى الفعل . والرابع العقل الذي نسميه الثاني .

وهو " يمثل العقل بالحس اقرب الحس من الحي ، وعمومه له اجمع ، فانه يقول : ان الصورة صورتان : اما احدى الصورتين فالهولانية ، وهي الواقعة تحت الحس . واما الاخرى فالتى ليست بذات هيولى ، وهي الواقعة تحت العقل ، وهي نوعية الاشياء وما فوقها .

فالصورة ، التى في الهيولى ، هي التى بالفعل محسوسة ، لانها لو لم

تكن بالفعل محسوسة ، لم تقع تحت الحس . فاذا افادتها^(١) النفس فهي في النفس . وانما تقيدها النفس لانها في النفس بالقوة ، فاذا باشرت بها النفس صارت في النفس بالفعل . وليس تصير في النفس كالشيء . في الوعاء ، ولا كالمثال^(٢) في الجرم ، لان النفس ليست بجسم ، ولا متجزئة ، فهي في النفس والنفس شيء . واحد لا غير ... وكذلك ايضاً القوة الحاسة ليست هي شيئاً غير النفس ، ولا هي في النفس كالعضو في الجسم ، بل هي النفس ، وهي الحاس . وكذلك الصورة المحسوسة ليست في النفس كغير ... فاذن المحسوس في النفس هو الحاس . فاما الهيولى فان محسوسها غير النفس الحاسة ، فاذن من جهة الهيولى المحسوس ليس هو الحاس .

وكذلك يمثل^(٣) العقل : فان النفس ، اذا باشرت العقل ، اعني الصور التي لا هيولى لها ولا فنتاسيا^(٤) ، اتحدت بالنفس ، اعني انها كانت موجودة في النفس بالفعل ، وقد كانت قبل ذلك لا موجودة فيها بالفعل ، بل بالقوة . فهذه الصورة التي لا هيولى لها ولا فنتاسيا هي العقل المستفاد للنفس من العقل الاول ، الذي^(٥) هو نوعية الاشياء التي هي بالفعل ابداً . وانما صار مُفِيداً ، والنفس مُستفيدة ، لان النفس بالقوة عاقلة ، والعقل الاول بالفعل . وكل شيء . افاد شيئاً ذاته ، فان المستفيد كان له ذلك الشيء . بالقوة ، ولم يكن له بالفعل . وكل ما كان لشيء . بالقوة فليس يخرج الى الفعل بذاته ، لانه لو كان بذاته كان ابداً بالفعل ، لان ذاته

(١) افادتها : ادركتها .

(٢) المثال : الصورة .

(٣) اي ارسطو .

(٤) صورة محسوسة .

(٥) الذي : يعود الى العقل المستفاد .

له ابدأ ما كان موجوداً . فاذن كل ما كان بالقوة فانما يخرج الى الفعل
باخر ، هو ذلك الشيء . بالفعل . فاذن النفس عاقلة بالقوة ، وخارجة بالعقل
الاول - اذا باشرته - الى ان تكون عاقلة بالفعل . فانها اذا اتحدت
الصورة العقلية بها ، لم تكن هي والصورة العقلية متغايرة ، لانها ليست
بمنقسمة فتتغير . فاذا اتحدت بها الصورة العقلية فهي والعقل شيء واحد ،
فهي عاقلة ومعقولة . فاذن العقل والمعقول شيء . أحد من جهة
النفس .

فاما العقل ، الذي بالفعل ابدأ ، المخرج النفس الى ان تصير بالفعل
عاقلة ، بعد ان كانت عاقلة بالقوة ، فليس هو ومعقوله شيئاً احداً .
فاذن المعقول في النفس والعقل الاول ، من جهة العقل الاول ، ليس بشيء .
واحد . فاما من جهة النفس فالعقل والمعقول شيء . احد . وهذا في العقل
هو بالبسيط اشبه بالنفس ، واقوى منه في المحسوس كثيراً .

فاذن العقل اما علة واول لجميع المعقولات والعقول الثواني ، واما
ثاني وهو بالقوة للنفس ما لم تكن النفس عاقلة بالفعل^١ . والثالث هو
الذي بالفعل للنفس ، وقد اقتنته وصار لها موجوداً ، متى شاءت استعمالته
واظهرته لوجود غيرها منها ، كالكتابة في الكتاب فهي معدة بمكنة
قد اقتناها وثبتت في نفسه ، فهو يخرجها ويستعملها متى شاء . واما الرابع
فهو العقل الظاهر من النفس ، متى اخرجته ، فكان موجوداً لغيرها منها
بالفعل .

فاذن الفصل بين الثالث والرابع ان الثالث قنية للنفس ، قد مضى
وقت مبتدأ قنيتها ، ولها ان تخرجها متى شاءت ، والرابع أنه اما وقت
قنيته اولاً ، واما وقت ظهوره ثانياً ، متى استعمالته النفس . فاذن الثالث

هو الذي للنفس قنيةٌ قد تقدمت ، ومتى شئت كان موجوداً فيها ، راما
الرابع فهو الظاهر^(١) في النفس متى ظهر بالفعل .

والحمد لله كثيراً بحسب استحقاقه .

فهذه آراء الحكماء الاولين في العقل . وهذا - كان الله لك مسدداً -
قدرُ هذا القول فيه ، اذ كان ما طلبت اقول المرسل الخبيري الكافي ،
فكن به سعيداً !

(١) يسمى هذا العقل الظاهر العقل الثاني ، في اول الرسالة . التسمية غامضة ،
اما المعنى فواضح .

الفعل المستفاد

النفس عاقلة بالفعل ، عند اتحاد الانواع بها ، وقبل اتحادها بها كانت عاقلة بالقوة . وكل شيء هو شيء . بالقوة فانما يُخرجُه الى الفعل شيء آخر - هو ذلك المخرج من القوة الى الفعل - بالفعل . والذي اخرج النفس ، التي هي عاقلة بالقوة ، الى ان صارت عاقلة بالفعل - اعني متحدة بها انواع الاشياء . واجناسها ، اعني كليّاتها - هي الكلّيات اعيانها ، فانها باتحادها بالنفس صارت النفس عاقلة ، اي لها عقل ما ، اي بها كليّات الاشياء . فكليّات الاشياء ، اذ هي في النفس خارجة من القوة الى الفعل ، هي العقل المستفاد ، الذي كان لها بالقوة ، فهي العقل الذي بالفعل الذي اخرج النفس من القوة الى الفعل .

(الفلسفة الاولى - ١٥٥)

الحس والمصورة

ان الفصل بين الحس وبين القوة المصورة أن الحس يوجدنا صور محسوساته محمولة في طبيعتها ، فاما هذه القوة فانها توجدنا الصور الشخصية مجردة ، بلا حوامل . . .

وقد تعمل هذه القوة اعمالها في حال النوم واليقظة ، الا انها في النوم اظهر فعلاً واقوى منها في اليقظة . . . ولذلك ما توجد الصورة النومية اتقن واحسن .

وايضاً فانها تقدر ان تركب الصور ، فاما الحس فلا يركب الصورة . . . فان البصر لا يقدر على ان يوجدنا انساناً له قرن او ريش او غير ذلك مما ليس للانسان في الطبع ، ولا حيواناً من غير الناطق ناطقاً . . . فاما فكرونا فليس بممتنع عليه ان يوهم الانسان طائراً او ذا ريش ، والسبع ناطقاً .

(ماهية النوم والرويا)

الرؤيا

فاما لماذا نرى الاشياء قبل كونها ... فان العلة في ذلك ما للنفس من العلم بالطبع ، وانها موضع لجميع الاشياء الحسية والعقلية ...
ليس المحسوس في النفس شيئاً اخر غير الحاس ، فانه ليس ثم غير
وغير ، انما هي ذات واحدة بسيطة ...

وكذلك معقولها فانه ليس غير القوة منها المسماة عقلاً ، اذ كان
معنى قولنا محسوس انما هو الاشخاص ، وقولنا معقول انما هو الانواع وما
فوق الانواع الى جنس الاجناس .

فاذا كان المحسوس موجوداً في النفس ، فليس الحاس في النفس
غير المحسوس . وكذلك العقل من النفس ليس هو غير المعقول في حال
وجود النفس المعقول . فاذا العقل في النفس هو المعقول ، والحس هو
المحسوس ، اذا كانا موجودين للنفس . فاما ، قبل ان يوجد ، فان
المحسوس هو صور الاشخاص ، والمعقول هو صور ما فوق الاشخاص ،
اعني الانواع والاجناس . والاجناس والانواع والاشخاص هي جميع
المعقولات ، فهي اذا كانت للحاس العاقل - اي موجودة لنفسه -
فهي جميعاً في نفسه . فلذلك قال افلاطون : ان النفس مكان لجميع
الاشياء المحسوسة والمعقولة . فاذا النفس علامة بالطبع ، لان العلم اجمع
انما هو للحس والعقل ، وما جانسهما وعمهما .

فاذا قد يقرب ان يتبين ما العلة في اختلاف احوال الرؤيا في تقدمه
مهارفها . فان النفس ، لانها علامة يقظانة حية ، قد ترمز بالاشياء قبل
كونها ، أو تنبئ بها باعيانها .

الإنسان عالم صغير

سَمَى ذُوو التَّمْيِيزِ من حَكَمَاءِ القَدَمَاءِ ، من غَيْرِ أَهْلِ لِسَانِنَا ،
 الْإِنْسَانَ عَالَمًا صَغِيرًا ، إِذْ فِيهِ جَمِيعُ الْقُوَى الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي الْكُلِّ ،
 اعْنِي النَّامُ وَالْحَيَوَانِيَّةُ وَالْمَنْطَقِيَّةُ ، وَفِيهِ الْأَرْضِيَّةُ كَالْعِظَامِ وَمَا أَشْبَهَهَا ،
 وَالْمَائِيَّةُ كَالرُّطُوبَاتِ الَّتِي فِيهِ . . . وَكَالْهَوَاءِ جَوْ بَاطِنُهُ وَجَمِيعُ جَوْفِهِ ،
 وَكَالنَّارِ حَرَارَتِهِ الْفَرِيزِيَّةُ ، وَكَالنبَاتِ شَعْرُهُ ، وَكَالْحَيَوَانَاتِ الْمُتَوَلِّدَةِ
 الْحُرْشَاتِ^(١) الْمُتَوَلِّدَةِ فِي بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ . . . فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ فِيهِ
 شَبِيهَا .

فَا الَّذِي يُنْكِرُ مِنْ أَنْ تَكُونَ الْقُدْرَةُ الْحَقُّ التَّامَّةُ مِثْلَتِ الْكُلِّ
 مِثَالِ حَيَوَانٍ وَاحِدٍ ، مَوْجُودٌ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَوْجَدُ فِي الْكُلِّ ، وَإِنْسَانٍ
 وَاحِدٍ تَوْجَدُ فِيهِ جَمِيعُ هَذِهِ ؟

(الْإِبَانَةُ عَنْ سَجُودِ الْجُرْمِ الْآخِصِيِّ وَطَاعَتِهِ لِلَّهِ)

(١) الحُرْشَاتُ : جَمْعُ خَرَشَةٍ ، وَهِيَ وَاحِدَةُ الذَّبَابِ .

رسالة

في حدود الاشياء ورسومها

- العلة الاولى : مبدعة ، فاعلة ، متممة الكل ، غير متحركة .
- العقل : جوهر بسيط مدرك للاشياء بحقائقها .
- النفس : تامة جرم طبيعي ، ذي آلة ، قابل للحياة . ويقال : هي استكمال أول جرم طبيعي ، ذي حياة بالقوة . . .
- الجرم : ما له ثلاثة ابعاد .
- الإبداع : اظهار الشيء . عن ليس .
- الهيولى : قوة موضوعة لحمل الصورة ، منفصلة .
- الصورة : الشيء . الذي به الشيء . هو ما هو .
- الاختيار : ارادة قد تقدمها روية مع تمييز .
- الكمية : ما احتمل المساواة وغير المساواة .
- الكيفية : ما هو شبيه وغير شبيه .
- الحركة : تبدل حال الذات .
- الزمان : مدة تعدها الحركة ، غير ثابتة الاجزاء .
- المكان : نهايات الاجسام . ويقال : هو التقاء أفقي المحيط والمحاط به .
- التوهم : هو الفنتاسيا ، قوة نفسانية ومدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها . ويقال : الفنتاسيا ، وهو التخيل ، وهو حضور صور الاشياء المحسوسة مع غيبة طينتها .
- الارادة : قوة يُقصد بها الشيء . دون الشيء . .

- المحبة : علة اجتماع الاشياء .
- الايقاع : فعلُ فصلِ زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة .
- الاسطقس : منه يكون الشيء ، واليه يرجع منجلاً ، وفيه الكائن بالقوة . وايضاً : هو عنصر الجسم ، وهو اصغر الاشياء من جملة الجسم .
- العريضة : طبيعة حالة في القلب ، أُعدت فيه لينال بها الحياة .
- الوهم : وقوف شيء للنفس بين الايجاب والسلب ، لا يعيل الى واحد منهما .

- القوة : ما ليس بظاهر ، وقد يمكن ان يظهر عما هو فيه بالقوة .
- الازلي : الذي لم يكن ليس ، وليس يحتاج في قوامه الى غيره .
- والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره فلا علة له ، وما لا علة له فدائم ابدًا .
- العلل الطبيعية اربع : ما منه كان الشيء ، اغني عنصره .
- وصورة الشيء . التي بها هو ما هو . ومبتدأ حركة الشيء . التي هي علته .
- وما من اجله فعل الفاعلُ مفعوله .

- الفلك : عنصر وذو صورة ، فليس بازلي .
- المُحال : جمع المتناقضين في شيء ما ، في زمان واحد ، وجزء .
- واضافة واحدة .

- اليقين : هو سكون الفهم مع ثبات القضية ببرهان .
- الفلسفة : حدها القدماء بعدة حدود :
- اما من اشتقاق اسمها ، وهو حب الحكمة ، لان « فيلسوف » هو مركب من فلا وهو محب ، ومن سوف وهو الحكمة .
- وحدوها ايضاً من فعلها فقالوا : ان الفلسفة هي التشبه بافعال الله تعالى ، بقدر طاقة الانسان - ارادوا ان يكون الانسان كامل الفضيلة .

- وحدوها ايضاً من جهة فعلها فقالوا : العناية بالموت . والموت

عندهم موتان : طبيعي وهو ترك النفس استعمال البدن ، والثاني إماتة الشهوات . فهذا^(١) هو الموت الذي قصدوا اليه ، لان اماتة الشهوات هي السبيل الى الفضيلة ، وكذلك قال كثير من اجلّة القدماء : اللذة شر . . .
 - وحدّوها ايضاً من جهة العلة فقالوا : صناعة الصناعات وحكمة الحكم .

- وحدّوها ايضاً فقالوا : الفلسفة معرفة الانسان نفسه . وهذا قول شريف النهاية ، بعيد الغور . . . فانه اذا عرف ذاته ، عرف الجسم باعراضه ، والعرض الاول ، والجوهر الذي هو لا جسم . فاذن ، اذا علم ذاك جميعاً ، فقد علم الكل . ولهذا العلة سمى الحكماء الانسان العالم الاصغر .

- فاما ما يُحدّث به عين الفلسفة فهو ان الفلسفة علم الاشياء الابدية الكلية ، إِنِّيَاتِهَا ومَائِثِهَا وعللها ، بقدر طاقة الانسان .
 - الشك : هو الوقوف على حدّ الطرفين من الظن ، مع تهمّة ذلك الظن .

- المحبة : مطلوبُ النفس ، ومتممةُ القوة التي هي اجتماع الاشياء .
 ويقال : هي حال النفس فيما بينها وبين شي . يجنبها اليه .
 - العشق : افراط المحبة .
 - المعرفة : رأي غير زائل .
 - الحقد : غضب يبقّى في النفس على وجه الدهر .
 - الفضائل الانسانية :

هي الخلق الانساني المحمود . وهي تنقسم قسمين أولين : احدهما في النفس ، والاخر مما يحيط بدن الانسان من الآثار الكائنة عن النفس .

اما القسم الكائن في النفس فينقسم ثلاثة اقسام : احدها الحكمة ، والاخر النجدة ، والاخر العفة . واما الذي يحيط بذوي النفس فالآثار الكائنة عن النفس ، والعدل فيما احاط بذوي النفس .

واما الحكمة فهي فضيلة القوة النطقية ، وهي علم الاشياء الكلية بحقائقها ، واستعمال ما يجب استعماله من الحقائق .

واما النجدة فهي فضيلة القوة الغلبية ، وهي الاستهانة بالموت في اخذ ما يجب اخذه ، ودفع ما يجب دفعه .

واما العفة فهي تناول الاشياء التي يجب تناولها لتربية ابدانها وحفظها بعد التام ، واثبات امتثالها ، والامساك عن تناول غير ذلك .

وبكل واحدة من هذه الثلاث سور للفضائل .

— الفضائل :

لها طرفان : احدهما من جهة الافراط ، والاخر من جهة التقصير ، وكل واحد منها خروج عن الاعتدال ، لان حد الخروج عن الاعتدال مقابل للاعتدال باشد انواع المقابلة تبايناً — اعني الايجاب والسلب — فان الخروج عن الاعتدال رذيلة ، وهو ينقسم قسمين متضادين : احدهما الافراط ، والاخر التقصير . . .

للنجدة خروج القوة الغلبية عن الاعتدال ، وهي رذيلة الاعتدال ، وهو ينقسم قسمين متضادين : احدهما من جهة السرف وهو التهور والهوج ، واما الآخر فهو من جهة التقصير ، وهو الجبن .

واما غير الاعتدال في العفة فهي رذيلة ايضاً مضادة للعفة ، وهي تنقسم قسمين : احدهما من جهة الافراط ، وهو ينقسم ثلاثة اقسام ، ويعتبر الحرص — احدها الحرص على المآكل والمشارب وهو الشره والنهم وما سمي كذلك ، ومنها الحرص على النكاح من حيث سمنح . . . ، ومنها الحرص على القنية وهو الرغبة الدائمة الداعية الى الحسد والمنافسة ،

وما كان كذلك . واما الآخر الذي من جهة التقصير فهو الكسل وانواعه .
ففضيلة هذه القوى النفسانية جميعاً الاعتدال المشتق من العدل .

وكذلك الفضيلة ، في ما يحيط بذى النفس من الآثار الكائنة عن
النفس ، هي العدل في تلك الآثار ، اعني في ارادات النفس من غيرها
وبغيرها ، وافعال النفس في هذه المحيطة بذى النفس . فاما الرذيلة في
هذه المحيطة بذى النفس فالجور المضاد في العدل فيها . . .

— الانسانية : هي الحياة والنطق والموت .

— الملائكية : الحياة والنطق .

— البهيمية : هي الحياة والموت .

فضل القدماء

ومن أوجب الحق ألا نذم من كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزيلة ، فكيف بالذين هم اكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية . فأنهم وان قصرُوا عن بعض الحق ، فقد كانوا لنا أنساباً وشركاء . في ما افادونا من ثمار فكرهم ، التي صارت لنا سبلاً وآلات مؤدية الى علم كثير مما قصرُوا عن نيل حقيقته ، ولا سيما اذ هو بينُ عندنا ، وعند المبرزين من المتفلسفين قبلنا من غير اهل لساننا ، انه لم ينل الحق — بما يستأهل الحق — أحد من الناس بجهد طلبه ، هو لا احاط به جميعهم . بل كل واحد منهم اما لم ينل منه شيئاً ، واما نال منه شيئاً يسيراً بالاضافة الى ما يستأهل الحق . فاذا 'جمع يسير' ما نال كل واحد من النائلين الحق منهم ، اجتمع من ذلك شيء له قدرٌ جليل .

فينبغي ان يعظم شكرنا للاتين بيسير الحق ، فضلاً عن اتى بكثير من الحق ، اذ اشركونا في ثمار فكرهم ، وسهلوا لنا المطالب الحقة الحقة بما افادونا من المقدمات المسهلة لنا سبل الحق . فانهم لو لم يكونوا ، لم يجتمع لنا — مع شدة البحث في مددنا كلها — هذه الاوائل الحقة التي بها تخرجنا الى الاواخر من مطلوباتنا الحقة . فان ذلك انما اجتمع في الاعصار السالفة المتقدمة عصرًا بعد عصر ، الى زماننا هذا ، مع شدة البحث ، ولزوم الدأب ، وايتار التعب في ذلك .

وغير ممكن ان يجتمع في زمن المرء الواحد ، وان اتسعت مدته ، واشتد بجته ، ولطف نظره ، وآثر الدأب ، ما اجتمع من شدة البحث والطاق النظر وايتار الدأب في اضعاف ذلك من الزمان الاضعاف الكثيرة .

فاما ارسطوطاليس ، مبرز اليونانيين في الفلسفة ، فقال : ينبغي لنا ان

نشكر آباء الذين اتوا بشي. من الحق ، اذ كانوا سبب كونهم ، فضلاً عنهم ، اذ هم سبب لهم ، واذا هم سبب لنا الى نيل الحق . فما احسن ما قال في ذلك !

وينبغي لنا ان لا نستحي من استحسن الحق ، واقتناء الحق من اين اتى ، وان اتى من الاجناس القاصية عنا ، والامم المبينة ، فانه لا شي. اولى بطالب الحق من الحق ...

فحسن بنا - اذ كنا حراساً على تميم نوعنا ، اذ الحق في ذلك - ان نلزم في كتابنا هذا عاداتنا ، في جميع موضوعاتنا ، من احضار ما قال القدماء في ذلك قولاً تاماً ، على أقصد سبله واسهلها سلوكاً على ابنا هذه السبل ، وتتميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً ، على مجرى عادة اللسان وستة الزمان ، وبقدر طاقتنا ، مع العلة العارضة لنا في ذلك من الانحصار عن الاتساع في القول ، المحلل لعقد العويص الملتبسة ، توقياً سوء تأويل كثير من المتسمين بالنظر في دهرنا من اهل الغربة عن الحق ، وان تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق ، لضيق فطنهم عن اساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرأي ، والاجتهاد في الانفاع العامة الكل ، الشاملة لهم ، ولدراثة الحسد المتكّن من انفسهم البهيمية ، والحاجب بسدف سجوفه ابصار فكرهم عن نور الحق ، ووضعهم ذوي الفضائل الانسانية ، التي قصرُوا عن نيلها ، وكانوا منها في الاطراف الشاسعة ، بموضع الاعداء الجريئة الواترة ، ذباً عن كراسيهم المزورة التي نصبوها عن غير استحقاق ، بل للتروؤس والتجارة بالدين ، وهم عدما الدين ، لان من تجرّ بشي. باعه ، ومن باع شيئاً لم يكن له ، فمن تجر بالدين لم يكن له دين ، ويحق ان يتعري من الدين من عاند فنية علم الاشياء بمقائنها ، وسنّاها كفراً ، لان في علم الاشياء بمقائنها علم الربوبية ، وعلم الوجدانية ، وعلم الفضيلة ، وجملة علم كل نافع ، والسبيل اليه

والبعد عن كل ضارّ والاحتباس منه . واقتناء هذه جميعاً هو الذي اتت به الرسل الصادقة عن الله ، جلّ ثناؤه . فان الرسل الصادقة ، صلوات الله عليها ، انما اتت بالاقرار ربوبية الله وحده ، وبإزوم الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها ، وآثارها .

فواجبٌ اذن التمسكُ بهذه القنية النفيسة عند ذوي الحق ، وان نسعى في طلبها بغاية جهدنا ، لما قدّمنا ، ولما نحن قائلون الآن .

وذلك انه ، باضطرار ، يجب على السنة المضادين لها اقتناؤها . وذلك انهم لا يخلون من ان يقولوا ان اقتناءها يجب او لا يجب .

فان قالوا انه يجب ، وجب طلبها عليهم . وان قالوا انها لا تجب ، وجب عليهم ان يحضروا علة ذلك ، وان يُعطوا على ذلك برهاناً . واعطاء العلة والبرهان من قنية علم الاشياء بحقائقها . فواجبٌ اذن طلبُ هذه القنية بالسنتهم ، والتمسكُ بها اضطرارٌ عليهم .



فنحن نسأل المطلع على سرائرنا ، والعالم اجتهدانا في تثبيت الحجة على ربوبيته ، وايضاح وحدانيته ، وذبح المعاندين له الكافرين به عن ذلك بالحجج القائمة لكفرهم ، والهاتكة لسجوف فضايحهم ، المخبرة عن عورات نحلهم المردية ، ان يحوطننا ومن سلك سبيلنا بحصن غره الذي لا يُرام ، وان يُلبسنا سراويل جنته الواقية ، ويهب لنا نصرة غروب^١ اسلحته النافذة ، والتأييد بغرّ قوته الغالبة ، حتى يبلّغنا بذلك نهاية نيتنا من نصرة الحق ، وتأيد الصدق ، ويبلّغنا بذلك درجة من ارتضى نيته ، وقبل فعله ، ووهب له الفلح والظفر على اعداده ، الكافرين نعمته ، والخائدين عن سبيل الحق المرتضاة عنده .

(الفلسفة الاولى)

ضرورة التأويل

ان قول الصادق محمد ، صلوات الله عليه ، وما ادى عن الله عز وجل ، لموجوداً جميعاً بالمقاييس العقلية ، التي لا يدفعها الا من حُرم صورة العقل ، واتحد بصورة الجهل ، من جميع الناس .

فاما من آمن برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وصدقته ، ثم جحد ما اتى به ، وانكر ما تأول ذوو الدين والالباب ممن اخذ عنه ، صلوات الله عليه ، فظاهر الضعف في تمييزه ، اذ يُبطل ما يُثبتته ، وهو لا يشعر بما اتى من ذلك ، او يكون ممن جهل العلة التي اتى بها الرسول صلوات الله عليه ، ولم يعرف اشتباه الاسماء فيها والتصريف والاستقاقات اللواتي ، وان كانت كثيرة في اللغة العربية ، فانها عامة لكل لغة .
(الابانة عن سجود الجرم الاقصى)

علم الرسل

... كعلم الرسل ، صلوات الله عليهم ، الذي خصه الله ، جلّ وتعالى علواً كبيراً ، انه بلا طلب ولا تكلف ولا بحث ، ولا بحيلة بالرياضات والمنطق ، ولا بزمان ، بل مع ارادته ، جلّ وتعالى ، بتطهير انفسهم وإنارتها للحق بتأييده وتمديده والهامة ورسالاته .

فان هذا العلم خاصة للرسل ، صلوات الله عليهم ، دون البشر ، واحد خواجلهم العجيبة ، اعني آياتهم الفاصلة لهم من غيرهم من البشر ...
فانه ان تدبر متدبر جوابات الرسل فيما سئلوا عنه من الامور الخفية الحقية ، التي اذا قصد الفيلسوف الجواب فيها يجهد حيلته التي اكسبته عليها - لطول الدؤوب في البحث والتروؤ - ما نجده اتى بمثلها في الوجازة

والبيان وقرب السيل والاحاطة بالمطلوب ، كجواب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في ما سأله المشركون ... : « يا محمد ، من يُحيي العظام ، وهي رميم ؟ » ... فأوحى اليه الحق ، جلّ ثناؤه : « قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم - الى قوله : كن فيكون » .
 فاي دليل في العقول النيرة الصافية ابين واوجز من انه اذا كانت العظام ، بل ان لم تكن ، فممكن ، اذا بطلت بعد ان كانت وصارت رميمأ ، ان تكون ايضاً ؟ ... ايّ بشر يقدر ، بفلسفة البشر ، ان يجمع في قول بقدر حروف هذه الآية ما جمع الله ... ؟ كآت عن مثل ذلك الالسن المنطقية المتحيّلة ، وقصرت عن مثله نهايات البشر ، وحُجبت عنه العقول الجزئية .

(كمية كتب ارسطوطاليس)

فلاسفة العرب

سلسلة دراسات ومختارات

ظهر منها :

- ١ - ابن الفارض (طبعة ثانية)
- ٢ - ابو العلا المعري (طبعة ثانية)
- ٣ - ابن خلدون (طبعة ثانية)
- ٤ - الغزالي : في جزئين (طبعة ثانية)
- ٥ - ابن طفيل (طبعة ثانية)
- ٦ - ابن رشد : في جزئين (طبعة ثانية)
- ٧ - اخوان الصفا .

للمؤلف ايضاً :

- قربان الاغاني : معرب عن طاغور
-

تمّ طبع هذا الكتاب
في الثامن من شهر آذار
سنة ١٩٥٤